الحلقة النقاشية الموسومة

المصطلحات القرانية ودورها في تأصيل العلوم الانسانية

الموافق الخميس ٢٧-٥-٢٠٢١

ورقة العمل الموسومة

(المصطلح القرآني واثره على الفكر الاسلامي)

اعداد: ا.م.د.رقية شاكر منصور

كان ولايزال مستمرا القران الكريم في مسار المعرفة الانسانية فتحا جديدا وثورة علمية عظيمة في تاريخ العلوم ادى الى نتاج معارف وتبلور علوم كثيرة ،منها ما نبعت منه ك(علم العقيدة)و (علم الفقه)؛ ومنها ماكانت خادمة له،ك (علم اصول الفقه) و(علم التفسير) و(علوم القران) وغيرها .وكلها داخلة في دائرة ما يسمى ب الفكر الاسلامي.

يعد المصطلح القرآني مكون من مكونات المنظومة المعرفية في الفكر الاسلامي اذ النص القرآني يحفل بكلمات مفتاحية ينبغي اكتشافها ،لذلك بالإمكان اعتبارها مفاتيح العلوم في الفكر الاسلامي

وهذا ما سوف نبينه لكن قبل ذلك يمكن القول بان المصطلح القرآني مركب وصفي يتكون من كلمتين (مصطلح) و(قران).

تعريف المصطلح في اللغة:

جاء في مقاييس اللغة: مادة "صلح" الصاد واللام والحاء، أصل يدل على خلاف الفساد يقال: صلح الشيء يصلح، ويقال صلح بفتح اللام.

و: تصالح القوم بينهم والصلاح نقيض الفساد، والإصلاح نقيض الإفساد، ورجل صالح: مصلح، والصالح في نفسه والمصلح في أعماله وأموره، يقال: أصلحت إلى البداية إذا أحسنت إليها ويقال: صلح فلان وصلاحا.

تعريف المصطلح في الاصطلاح:

الاصطلاح هو العرف الخاص، وهو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم بعد نقله عن الموضوع الأول لمناسبة بينهما كالعموم والخصوص أو لمشاركتهما في أمر ومشابهتهما في وصف آخر أو غيرها.

هو: "اللفظ الذي يُسمّي مفهوماً معيَّناً داخل تخصُّص ما." ٥ المصطلح

ويستخلص مما سبق أن المصطلح هو اتفاق أفراد أو جماعات أو قوم على وضع اسم ما لشيء ما، مع ضرورة وجود المناسبة والمشاركة والاتفاق،

وتظهر أهمية المصطلح بأنه يمثل اللبنة الأولى من كل علم، بل هو مدار كل علم، به يبدأ وبه ينتهي.

أولا: تعريف المصطلح القرآني

لقد بين الله –عز وجل– أن القرآن الكريم أُنزل بلسان عربيٍّ مبين، كما أن ألفاظه المتضمنة فيه العربية، إلا أنها تضاف إليها أمور تَرتبط بسياقات ومآلات اللغة تَنبع من أصل دلالتها في ينبغي مُراعاتها، حيث حمل القرآن الكريم بعض الألفاظ العربية معان ودلالات إما جديدة ابتداء، أو نامية نحو التَّعميم أو التَّخصيص، وهذه الدلالات لم تكتسبها من قبل عن العرب لتسع مدلولها فأصبح اللفظ القرآني له مفهوم غير الذي يتبادر إلى الذهن وغير الذي كان عرف بأنه: "كل لفظ دلَّ على مفهوم قرآني خاص لم يكن متداولا عند العرب قبل نزول القرآن الكريم".

ويستخلص مما سبق أن كل لفظ سواء كلمة أو جملة له دلالة خاصة في نسق القرآن الكريم، وقد عبر بعض العلماء عن المصطلحات القرآنية بالألفاظ الشرعية أو الألفاظ الإسلامية، إلا أن هذه التسمية تبعدها عن حقيقتها بعض الشيء، إذ توحي أنها وليدة الإسلام، في حين أن هذه المصطلحات ذات جذور تاريخية ولغوية قبل نزول القرآن، لذلك فإن التعبير عنها بالمصطلحات يبقى هو التعبير الأمثل.

ان النظر الى المصطلح القراني على انه مكون من مكونات المنظومة المعرفية للفكر الاسلامي، يستوجب منا الوقوف عند بيان مدلول مصطلح الفكر الاسلامي، فهومركب وصفي من كلمتين (فكر)و(اسلام) ومعناه

تعريف الفكرفي اللغة:

وهو اعمال الخاطر في الشيء او اعمال النظر في الشيء كالفكرة .

والفكر بالكسر:تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني.او التفكر : التامل

اذن التفكر والتأمل والتدبر هي عبارات مترادفة على معنى واحد.

تعريف الفكر في الاصطلاح:

وهو ((اعمال العقل في الاشياء للوصول الى معرفتها)) فالفكر جهد عقلي يقوم على النظر والتأمل للوصول الى المعرفة.

تعريف الفكر الاسلامي:

هناك عدة مفاهيم للفكر الاسلامي اذ حاول بعض المفكرين المسلمين المعاصرين السهام في تحديد وصياغة التعريف الاصطلاحي للفكر الاسلامي منها:

((هو التفاعل بين عقل المسلمين واحكام الدين الازلية)) او هو تلك المحاولات العقلية لفهم الاسلام وشرحه من مصادره الاصلية سعيا للانسجام مع خلق الله تعالى في التسليم والاستلام لله عزوجل .

اذن هو كل ماانتجه العقل المسلم في محاولة فهم وشرح الاسلام من مصدره الاصلي المتمثل بالوحي سواء كان ماوصل اليه العقل صحيح او الخاطئ في مختلف الموضوعات والاشكالات المرتبطة بحياة الانسان والكون.

أهمية المصطلح القرآني

وتَظْهر أهمية المصطلح القرآني من خلال ما بينه العلامة الراغب الأصفهاني الذي عاش في حضن القرآن وتحت ظلاله، وتبحر في علومه وغاص في ألفاظه وآياته: "وذكرت أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن: العلوم اللفظية. ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبن في كونه أول المعاون في بناء ما يمكن أن يبنيه وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع. فألفاظ القرآن هي لب الكلام وزبدته وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم".

مشروعية دراسة المصطلح القرآني

ترجع جذور العناية بألفاظ القرآن وتحرير دلالاتها إلى مرحلة مبكّرة من تاريخ الإسلام، إذ «لا يخفى أن ما أحدثه نزول القرآن الكريم وبيان السُّنة النبوية من تغييرات جذرية في بنية الألفاظ التي كانت سائدة من قبل، بتزويدها بالمضامين الشرعية، قد خلق واقعًا لغويًّا وعقديًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا وعلميًّا وسلوكيًّا... جديدًا كان سمة الأمة المخرجة إلى الناس»، مما جعل الصحابة الكرام على مدى ثلاث وعشرين سنة يحرصون على فهم معانيه حتى يعملوا بما استمدوه منها من الهدى والعلم،

لا شك أن تزايد الاعتناء بالمصطلح القرآني من مستجدات الساحة القرآنية، إلا أن معالمه وملامحه ظهرت منذ عصر التنزيل، ومما يوضح تباين المصطلح القرآني مع غيره ما رواه البخاري في صحيحه أنه «لَمَّا نَزَلَتْ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}[الأنعام: ٨٢]، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ؛ {لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: {يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[لقمان: ١٣]».

فقد عسر فهم ذلك على صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهنا إرشاد لأهمية الدراسة النصية للمفردات القرآنية في مواطنها ومواضعها المختلفة وأثرها في فهم صحيح وسليم لكتاب الله –عز وجل– دون تضييع أو تمييع، حيث أن هذا النسق الذي اعتمده الرسول – صلى الله عليه وسلم– هو الطريق القويم للوصول إلى فهم يطابق المقصد الرباني من الكلام القرآني، ومن هنا تعد دراسة المصطلح القرآني أهم مداخل التفسير.

فالمصطلح القرآني يتَّسم بتعاضده مع غيره داخل البنية النسقية للقرآن المجيد، ولا يمكن فهمه إلا من داخلها، وبهذه الخصوصية يتفرّد عن غيره من مصطلحات مختلف العلوم والفنون.

وقد أحدثت هذه المصطلحات القرآنية طفرة مفهومية، فظهر ما سُمي بالتخصيص أو تضييق المعنى، والتوسّع الدلالي، وظهرت أسماء أخرى لم تعهدها العرب في كلامها،

فقد جاء عن عَدِيّ بن حاتِم – رضي الله عنه– قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ، أَهُمَا الخَيْطَانِ؟ قَالَ: إِنَّكَ لَعَرِيضُ القَفَا إِنْ أَبْصَرْتَ الخَيْطَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: لَا، بَلْ هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ»[٦].

وغير ذلك كثير مما يوضح أن مصطلحات القرآن الكريم أحدثت ثورة دلالية، كما أنها كانت المنطلق الأساس لمختلف علوم المسلمين في شتى المجالات، هذا ما يفسّر حجم الإنجازات التي وصلت إليها الأمة في عصورها الذهبية، لكون القرآن كان هو المصدر المؤسّس للعلوم والمعارف، فكان أخذهم له بقوة، فمنحهم من الهدايات المعرفية ما مكّنهم من تحقيق الشهود

الحضاري، وعندما أخذناه بضعف كان قمة انحطاطنا وتخلفنا، وهذا ظلم في حقّ القرآن؛ فالقرآن بطبيعته كريم، فبقدر المشقّة والمداومة في طلب الاستمداد منه يعطي لطالبه بقدر جهده في الطلب، لكن عندما تم إغفال مصدريته المنشئة للمعارف والعلوم، وتم البحث عن الهُدى خارجه، لم تمدنا مصطلحاته بالنور الذي به نستطيع أن نهتدي في ظلمات البر والبحر؛ لأننا أصبحنا نؤصّل لعلومنا من دائرة أخرى غير دائرة القرآن، وبمفاهيم أخرى غير مفاهيم القرآن، لهذا فأثر تأثيل المعارف والعلوم من داخل القرآن الكريم يمهد لتحقيق شهود الأمة والحضارة، والتخلي عن تأصيلها بعيدًا عن مصطلحاته ومفاهيمه لا يزيد الأمة إلّا خسارًا: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}[الإسراء: ٨٢].

إذن فلمصطلحات القرآن الكريم دور مهم في بناء المعرفة وفي تحقيق الشهود الحضاري، هذا ما دفع العلماء قديمًا وحديثًا للاعتناء بمصطلحاته أشدّ العناية؛ لأنها السبيل الموصل لتدبُّر معانيه والكشف عن مقاصده، واكتناه أسراره، وفيما يلي نبيّن جانبًا من هذه الجهود.

اهم انواع المصطلحات القرانية

تنقسم إلى ثلاثة أقسام، مصطلحات وافقت اللغة العربية، ومصطلحات خضعت للتغيير الدلالي؛ إما بتضيّيق، أو اتساع، أو انتقال، ومصطلحات انتقلت دلالتها اللغوية

مصطلحات وافقت اللغة العربية واستقرت دلالتها:

اي وافقت وتطابقت مع ما عرفته العرب قبل نزول القرآن الكريم، والمقصود من هذه أنها من حيث الشكل والمضمون أي قلبا وقالبا، وغيرها من المصطلحات القرآنية التي وافقت اللغة العربية، والمقصود بالمصطلحات التي وافقت اللغة العربية وحافظت على دلالاتها أي من حيث المحافظة الشكلية على معنى اللفظ اللغوي، وإلا فالقرآن قد أضفى عليه صفة القدسية والتأثير المعجز، ومن أمثلة ذلك

مصطلح العبودية

، أصل العبودية الخضوع والتذلل، وكل خضوع ليس فوقه خضوع فهو (العبودية) مصطلح عبادة، والعبادة نوع من الخضوع لا يستحقه إلا من كان له أعلى منزلة من الإنعام، ومفهوم المصطلح في القرآن لا يخرج عن المعنى اللغوي المعروف، فمعناه العبادة من قبل العبد الخاضع لربه، المستسلم المنقاد لأمره، وبهذا المعنى استعمل اللفظ قبل نزول القرآن وبعده، فكان مفهومه واحدا ولكن القرآن أضاف عليه صفة التخصيص بعبادة الله عز وجل وحده.

- مصطلحات ضاقت دلالاتها اللغوية:

بمعنى أن هناك مصطلحات عامة الدلالة فخصص القرآن مدلولها، وتخصيص الدلالة يعني أن تقتصر الدلالة العامة على بعض أجزائها فيضيق شمولها، ويصبح مدلول الكلمة مقصورا على أشياء أقل عددا مما كانت عليه في الأصل، ومن الأمثلة على المصطلحات التي ضاق مدلولها اللغوي ما ياتي:

، فأصله اللغوي الانبعاث على التؤدة، ومنه الرسول المنبعث، ثم تطور (**الرسول**) مصطلح اللفظ ليدل على الرفق تارة، والانبعاث تارة أخرى. و(الرسول) لفظ يصدق على كلام المرسل، وعلى حامل الخبر، وفي النص القرآني دل على الإنسان الذي يختاره الله عز وجل لينشر في الناس الرسالة، ويبلغ الناس دين ربهم، فالقرآن خصص معنى اللفظ (الرسول) وجعله مرتبطا برسول الله الذي يبلغ عن ربه أحكامه ودينه وشرائعه. وغيرها من المصطلحات التي ضاق معناها اللغوي في القرآن بعد نزوله، كالشفاعة، والصلاة حيث جعلها القرآن تدل على العبادة المعهودة التي علمنا إياها الرسول صلى الله عليه وسلم.

- مصطلحات اتسعت دلالاتها اللغوية:

وهذا الصنف هو ما كانت دلالته اللغوية ضيقة ومحدودة في مدلولات معينة، إلا أن النص القرآني أكسبها توسعة لتشمل عديد المعاني والمدلولات أكثر مما كانت عليه، ومن نماذج هذه المصطلحات ما يلي:

، العرب تقول إذا خرجت الرطبة عن قشرتها فقد فسقت الرطبة من قشرتها، (**الفسق**) مصطلح وسميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها على الناس، وفي النص القرآني دل مصطلح (الفسق) على العصيان والترك لأمر الله –عز وجل– والخروج عن طريق الحق، وقيل الفسوق الخروج عن الدين، وميل إلى المعصية، مثلما فسق إبليس عن أمر ربه ١٥. ومثل هذا المصطلح أيضا (الكفر) و(النفاق).

- مصطلحات انتقلت دلالاتها اللغوية

وهذا الصنف من المصطلحات يفارق دلالته، حاملا ومتصفا دلالة جديدة أكساها إياه النص القرآني، ومن الأمثلة التي تخص هذا الصنف من المصطلحات ما ياتي:

مصطلح الركوع

، معناه اللغوي هو (شدة الانحناء)، ولكن المعنى الأول قد نسي ولم يعد يستعمل إلا عند اللزوم، ثم انتقل معناه ليصبح دالا على الخضوع والتذلل وهو معنى مجازي متطور عن المعنى اللغوي الأساس وهو الانحناء والانخفاض، ومن هذا المعنى تفرعت معان مجازية كثيرة، فقالوا ركع الرجل إذا افتقر بعد غنى كأنما حني الفقر ظهره بعد أن كان مستويا، ويبدو أن العرب ساروا خطوة ضيقة نحو معناه الاصطلاحي، ولم تنتشر دلالة المصطلح إلا بعد نزول القرآن فصار إذا أطلق فهو لا يعني إلا الركوع في الصلاة، وسميت أجزاء الصلاة بالركعات، لأنه يمثل الحد الفاصل بين كل قيامين أو وقفتين يقفهما الإنسان في صلاته. ومثل ذا أيضا من المصطلحات التي انتقلت دلالاتها اللغوية: الجنة والطواف والفرض والغي والمغفرة والمناسك.

- مصطلحات قرآنية جديدة

وهذا النوع من المصطلحات لم تكن مألوفة أو معهودة في البيئة العربية، كما أنها لم تكن أجزاء من كلمات أخرى معروفة في كلام العرب، إذ لم تعرفها العرب حتى ظهور شمس الإسلام، وهذه المصطلحات استحدثها النص القرآني وأعطاها دلالات جديدة وخاصة لم تتطرق لها العرب من قبل، ومن أمثلة هذه المصطلحات:

، فلا يوجد لهذا المصطلح مثيل قبل نزول القرآن الكريم، وهي صيغة (**جاهلية**) مصطلح أوجدها القرآن الكريم وانتشرت فيما بعد لتكون علما على الفترة التي سبقت نزول القرآن، وهو مستمد من دلالته من الجهل بمعنى السفه والطيش والحمية الزائفة للتعبير عن الحياة التي كان يحياها الإنسان في العصر الجاهلي وليس من قبيل الجهل ضد العلم.

وبعد أن أشرفت رحلتنا على الانتهاء؛ فقد أسفرت عن مجموعة من الفوائد نوردها منها ماياتي:

أن المصطلح هو اللفظ الذي يسمى مفهوما معينا داخل تخصص ما.

أن المصطلح القرآني هو كل لفظ أكساه القرآن مفهوماً خاصاً لم يكن متداولا في لسان العرب قبل نزول القرآن الكريم.

أن مشروعية الدراسة المصطلحية لمفردات القرآن نابعة من الخطاب القرآن نفسه.

تتلخص أهمية المصطلح القرآني في كونه طريقا آمنا وموصلا للعلم المطلوب، ومعرفة المراد.